رسالة إلى آسيا

« جزء من ملحمة طويلة . . يتضمنها
ديوان جديد « قادم »

* * *

يا صديقي والرسالات الندّيات الوريقه
والعصافير التي تعزف للريح الطليقه
والسواقي إن بكت لليل انغاماً عميقه
ومشت تنهيدة الريح . . بتكساس شفيقه
والأسى في عتمة الأكواخ . قد شق طريقه
. . . أغنياتي . . أغنيات القلب للأرض الصديقه !!

نا ابكي . . . فدموع الليل ، في تكساس قلبي
أهذه دربي . . ولكن الف افعى فوق دربي
غير اني شوف أمشي في غيابات الليالي
مثلما تصعد للريح شماريخ الجبال ! !

كتبتها ريشة من اضلعي ذات مساء . .
آسيوي الريح ، مهتاج ، كليل الاستواء . .
ارجواني . . غسلناه . بدفّاق الدماء . .
وأنا اصغي . . . فلليل أزيز في العراء
غمغمات آدميات تلوّت في الفضاء .
وفؤوس تهدم السجن ، وصيحات بناء
للملايو ، للفلبيّين ، لإربان . . غناني
للوجوه الصفر . . تمشي أبداً . لا للوراء
زجزحت صخرتها السوداء عن صدر السماء

ياصديقي . . ان تباعدنا . . فملقانا الشروق
سوف تلقاني . والقاك وان طال الطريق ! !
يا صديقي والجراحات العميقات . .
واشواقك قربي
هذه دربي ـ اشواك . . وذي دربك دربي
صعدت بي جبل الأيام . . . في صمت ورعب
سرت . . لا ظل حنون . . ولا خيمة سحب
سرت وحدي . . وانا اعصر للظلمة قلبي
موكبي ان نادت الريح جناح لا يلبّي
سرت تدميني صخور الليل . . لا ابصر دربي ! !

لم لا يحيى الملايين على غنوة حب
رقص أطفال ، والوان اراجيح
وصخب

كلّما برّح بي جرح بكى للجرح جرح
واذا أوراس غنى فلدى باريس صبح ! !
لم اذق في غربتي الشمطاء افراح الطفوله
لم اقل للناي ما عندي . . فأيامي بخيله
غير اني طائر مدّت يد الليل ، رحيله ! !
وتلفت وفي اجنحتي الريح ذليله
وإذا ما عدت يوماً من ليالي الطويله
وجوادي ، لم يزل يرسل في الأفق صهيله
وشدا سرب الكناري على كل خميله
وسعى النيل . وقد اترع بالشوق نخيله
وفتحت الأذرع السمراء للدنيا الجميله ! !

سأغني لك يا آسيا أغني من جديد
سأغني اغنيات النيل للشط السعيد

واذا ادركت يا افريقيا شط الأماني
وشدا الجداف للموجة من آن لآن
فصحت « تانا » وللسوباط رقص وأغاني
وذوت بسمة ثغر . . . وتغنّت شفتان
وتصافت مقلتان ، وتباكت مقلتان
واذا كل صديقين هنا يعتنقان
واذا الليلة كاس والدجى خمرة حان

هكذا الايام وجهان . . وما يلتقيان
جناحك ذاك . . وذيّاك لك مجروح الكهان
فاسقني نخب الاغاني . . واسقني نخب الاغاني

واعصري كرمة حبي واسكبي للنهر قطره
آه ما اعمق هذا اللحن ما اعمق سحره ! !

نحن نشدو لك يا آسيا وفي اللحن انتصار
مثلما تشدو الينابيع وفي الارض اخضرار
ان تكن افريقيا تخطو وفي الخطو عثار
لفها في الغاب إعصار الدجى واللاقرار
وبعينيها تباريح . . وفي الاعماق نار ! !
ومشى الموت . . كما يمشي على الشعب اصفرار
ان يكن طال بنا الليل . . ففي الدرب النهار
كلما قام جدار للدجى . . مال جدار ! !
وصحا الشط . . . وقد حنّ الى الشدو الكنار

واذا مرت على أفقك أنسام تغنى ! !
فاسمعي . . تلك رسالات . . من النيل . .
وحنى ! !

واذا جاءتك أشواقي على جنح غمامه
ودنت من باب « بكين » بمنقار حمامه
فاسمعي صوتي ففي الانسام ذوّبت مدامه
اين انسانك يا آسيا يغنيني سلامه
اسرج الافق وقد شدّ الى النور لجامه
جثته ضيفاً . . وقد حيّت مزاميري زحامه
بالاعماق تضيء الليل ان مدّ ظلامه !

يا اخي نحن ذراعان تقيان دعامه
هوذا وجهك يبدو وبعينيك ابتسامه

يا صديقي سوف تلقاني والقاك هنا
انا احكي لك آلامي وتحكي لي أنا ! !

نحن نمشي يا اخي . نزرع في الارض الامانا
المسافات تلاشت ... فتلاقت خطوتانا
قد تعانقنا قلوباً.. فتندّت مقلتانا !!
فإذا اخضرت روابيك ... قد اخضرت ربانا
واذا مسك سوءٌ مسني .. مسّ كلانا
من رمى في ظلمة السرداب دنياك . رمانا
والذي كان سقاك المر يوماً... قد سقانا
يا ابن آسيا ويك .. ما عدت حشيشا ودخانا
وانا في غابتي ما عدتُ تمثالا جبانا
هذه ارضي.. ولن اترك للغاصب ارضي !!
فإذا جاء ... ففي طاحونتي . . اسقيه بغضي !!

أصدقائي في الفلبين وفي الصين الفتية ..
ما الذي ارسل ما كارثي سياطاً لهبيّه
فمضى من باب «فرموزا» ومانيلا الشقيه
اخطبوطاً .. يلعق الدمّ .. وما يُبقي بقيه !!
هذه الحرب .. أساطير عصور همجيّه
لوّح الزيتون للعائد .. الدنيا الهنيّه
واذا بالرجل الأصفر ما عاد ضحيّه ! !
لم يعد في شنغهاي راكعاً ... يعبدُ حيّه
دقّ باب الغد عملاقاً... يحثُّ الآدميه

يا رفاقي انتمُ في عمق اشواقي الحصيبه
اغنياتٌ من رُبى البنغال من برما الحبيبه
كلما اوغل بي الليل . . وقد ارخى السدولا
ونخيل الشط قد ارهق اذنيه . . طويلا
وسجا الكون .. واغضى جندبُ الغاب ملولا
سمعت اذناي من آسيا لحونا .. وطبولا
وحشودا.. تنزل الوادي وترتادُ السهولا
وتشمُّ الريح ان مرّتْ . . فقد تخفى دخيلا
صوت «طاغور» الربيعي» حمامـا وهديلا
عانق القلب كما عانقت الشمس الخميلا

فعشقت النور والاعماق والكون الجميلا
يا صديقي سوف القاك وان شط المزار
موعدي .. في شرفات الفجر ... شوقُ وانتظار

قيل عني .. انا انسانٌ خرافيٌ .. وعنك
ليعد للغاب كي يأكل عليقاً وشوكا
يسرق النار ويشوي رأس تنين وورکا
ويصلي لخطى الشمس وما يعرف إفكا
يزرع الشرق .. ويسقيه تواشيحاً ونسكا
آه ما اضحك انسانك أوربا وابكي
ما الذي قسمنا صنفين، صلصالا ومَلْكا
فجنى ذلك ورداً وجنى ذلك شوكا !

فاعشقي النور وفُكّي لذرارينا الطلاسم
الزهور البيض والسحر ... ضحوكات المباسم

يا أخي السارقُ .. قد جاوزت في ارضي حدا ..
قلّمت كفاك غاباتي وما ابقيت وردا ..
انا لا احمل شرّا .. انا لا اضمر حقدا..
انا لا احفر للابيض في الغابات لحدا ..
انا لا ازرع شوكاً انا ماسمّت وردا..
لاولا اغلقتُ ابوابي اذا صوفيت ودا
غير اني اوصد الباب اذا ابصرت حشدا
اعينا زرقا . تجوب الدار .. لا ترحم صيدا
هذه كفاك ما زالت هنا ... تفتل قيدا

سرقت والليل من نافذة الافق يطل
ترهب الضوء ... فللضوء وشايات وغل

لم تعد سوداء افريقيا بلاد الظلمات
لم تعد سوق رقيق لا ولا ارض عراة
ووجوه شققتها الشمس... شوهاء السمات
وعيون مطفأت . . وعقول جامدات
خلفتها في دروب الليل ركبان الحياة
لم يكن جدي سوى جدك شمبانزى السمات
انما اللون مناخيٌ .. بطاقات جهات
سوف ابني مثلما تبني قبابا شامخات
سوف انمو مثلما تنمو... كأحرار النبات
انت مني.. وانا منك فهل تغدر نفسك؟
بعثرت كفاك أزهاري .. فهل بعثرت زهرك

انا في اثيوبيا احفر للتاريخ مجري
وانا في كينيا اشعل في الغابات جمرا
وانا في ليل اوراس اسوق الليل قسرا
وانا في قرن افريقيا امد النور جسرا
وطن ما زال ينهلُ ينابيعا ... وزهرا
وانا .. آكل .. ما آكل .. اعشاباً وقفرا
فأنا كالريح ... لا تهدأ ... لا تلقى قعرا
غير اني مارد .. يحضر في الظلمة قبرا
وغدا اطعمه جمجمه .. تقطر مُرّا ..
فاذا مرت على بابي اشباح غريبه
سترى ظلّ رخام ... بعض صلبان كئيبه
وطني ما خنت .. ما زيفت في الهول كفاحي
لا .. ولا القيت في منتصف الدرب سلاحي
فجناحي .. لم يزل في زحمة الريح . . جناحي
انا ما زلت اغني لك من عمق الجراح!!
اوقد الكهف بمصباحي اذا غاب صباحي
باحثاً عن لؤلؤات القاع.. عن كونٍ متاح
وطني ... اخشى على زغبك من هدب الرياح
من تلاوين شعارات مريضات ... قباح
رددتها جوقةٌ ... راكعة.. في كل ساح
.. هي ذي في عدساتي.. سقطت دون جناح

فاذا القت على اعماقها الف نقاب
لم تزل رمّتها ... تطفو على وجه العباب

محي الدين فارس